

عشر سنوات بعد الربيع

العربي

الانعكاسات السياسية

والأمنية في العراق

د. عادل عبد الحمزة ثجيل

آذار 2021



على الرغم من مرور عقد من الحراك العربي، غير أن آثاره وتداعياته أعادت هيكلية المنطقة وأنماط تفاعلاتها.



الربيع العربي لم يؤدِّ إلى الإصلاحات التي كان يأملها الجميع، لكنه تمكّن من بناء ثقافة من النشاط السياسي والمعارضة في أوساط العرب التي ظلّت قائمة حتى اليوم، ولا سيما في أوساط الشباب.



إن التأثير الأعمق لحراك الربيع العربي في العراق هو تحوّل الشعب بذاته إلى عنصر أساس متفاعل مع السياسة في مجتمع.

ثجيل، عادل عبد الحمزة

عشر سنوات بعد الربيع العربي الانعكاسات السياسية والأمنية في العراق / عادل
عبد الحمزة ثجيل، _ عمان: مؤسسة فريدريش إيبيرت، ٢٠٢١.

(٢٠) صفحة

الناشر: مؤسسة فريدريش إيبيرت، مكتب الأردن والعراق

المدير المقيم: تم بتشولات

مؤسسة فريدريش إيبيرت - مكتب عمان

صندوق بريد: ٩٤١٨٧٦ عمان ١١١٩٤ الأردن

البريد الإلكتروني: fes@fes-jordan.org

الموقع الإلكتروني: www.fes-jordan.org

غير مخصص للبيع

مؤسسة فريدريش إيبيرت - مكتب عمان ©

جميع الحقوق محفوظة.

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه أو استنساخه أو نقله، كلياً أو جزئياً، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة الكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدامه أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعتبر عن وجهات نظر مؤسسة فريدريش إيبيرت، ويتحمل الكاتب مسؤولية ذاتية عما عبر عنه في هذه الدراسة.

• الغلاف والتصميم الداخلي: كمال قاسم

المحتويات

٧	توطئة: تأثير الفراشة.....
٩	الدومينو والتأثير السياسي.....
١٢	التداعيات الأمنية وتأثير كرة الثلج المتدحرجة.....
١٤	التفاعل التسلسلي والآثار الاجتماعية.....
١٧	الخاتمة.....

توطئة: تأثير الفراشة

من الانتفاضات الوطنية، مطالبين بالكرامة والمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية. يؤدي إلى سقوط أنظمة وإزاحتها، واستجابة بعضها للإصلاح، ودخلت أخرى في صراعات وحروب مستمرة لم تنته حتى الآن.

وهنا يطرح تساؤل مركزي في ضوء انقضاء عقد من هذه الذكرى، ما هي الآثار التي رافقت ذلك الحراك الشعبي، والتداعيات التي خلفها سياسياً وأمنياً واجتماعياً؟

على الرغم من التفاؤل بالحراك العربي، إلا أنه ولّد صراعات جديدة وفشل في معالجة المظالم الاقتصادية والاجتماعية الكامنة التي انتفضت الجماهير من أجلها، فتعثرت التنمية في أعقاب (الربيع العربي)، فمع أنّ بعض البلدان تمكّنت من تأسيس أنظمة ديمقراطية، ومنها تونس، فإنّ في مصر أدى الانقلاب العسكري عام ٢٠١٣ إلى الإطاحة بالحكومة المنتخبة، أما في ليبيا وسوريا واليمن، دخلت في حروب أهلية سرعان ما تحولت إلى صراعات دولية بالوكالة. لتبدو الأوضاع في الشرق الأوسط اليوم، وبعد انقضاء عشر سنوات، أكثر سوءاً مما كانت عليه في (الربيع العربي)؛ لتفاقم القمع السياسي، وتباطؤ النمو الاقتصادي في

على الرغم من مرور عقد من الحراك العربي، غير أنّ آثاره وتداعياته أعادت هيكلة المنطقة وأنماط تفاعلاتها، تحت مبدأ «تأثير جناح الفراشة» (The Butterfly Effect)، الذي يقوم على فرضية مفادها أنّ «أي فعل رغم ما يبدو بسيطاً في الظاهر فإن له تأثيراً معيّناً، قد يتطور هذا التأثير تطوراً هائلاً غير متوقع». فالتاريخ الإنساني مليء بأحداث لها من التداعيات والعواقب ما يتخطى آثارها المباشرة المتوقعة، بما تجده وتستحدثه من تطورات وتغيرات جذرية على الهياكل والتفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية! وكان التطبيق الفعلي لهذا المبدأ فيما بات يعرف بـ(الربيع العربي)، عندما أضرهم الشباب التونسي محمد بو عزيزي النار في نفسه احتجاجاً على الأوضاع المعيشية والاقتصادية المزريّة، اندلعت بعد ذلك ثورة في تونس ثم امتدت إلى مصر وليبيا وسوريا والبحرين واليمن. ساهم في ذلك، سنوات من الاستبداد، وسوء الحوكمة، والتفاوت الاقتصادي، والفساد ونهب الثروات، في نزول مواطني هذه الدول في الفترة ٢٠١٠-٢٠١١ إلى الشوارع ضمن موجة تاريخية

١ أحمد محمد أبو زيد؛ أثر جناح الفراشة: احتلال العراق والربيع العربي، معهد العربية للدراسات، ٧ أبريل ٢٠١٣، آخر تحديث: ٠٦ مارس، ٢٠٢٠

<https://bit.ly/3k4yOPs>

بموجبها الوظائف، والأمن، والخدمات، لقاء الولاء السياسي. وتقوم هذه المقايضة على افتراض صمت الناس واستسلامهم. لكن هذا الافتراض خاطئ حالياً. لم تُعد الحكومة فزاعة للمواطنين؛ حيث يشارك الناس العاديون في الأحداث السياسية للتعبير عن معارضتهم هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى.^٣ وجاء تأكيد ذلك عامي ٢٠١٨ و ٢٠١٩، في الموجة الثانية من الحراك العربي عندما خرجت انتفاضات جديدة في الجزائر والسودان والعراق ولبنان. القاسم المشترك الرئيس بين الموجتين، أن معظم هؤلاء المتظاهرين شباب؛ وأكثر من ٦٠ في المئة من السكان في الشرق الأوسط دون الثلاثين، وهم غاضبون، ومحبطون من البطالة والفساد.^٤ لتتشابه الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع موجة (الربيع العربي) الأولى.^٥

قد لا يكون (الربيع العربي) وفّى بكل وعوده بالإصلاح الفوري المأمول، لكنه على المدى الطويل قد يكون أنجز أمراً أكثر أهمية، ألا وهو استنهاض الطاقات السياسية في العالم العربي وضحّ الدماء في عملية إنعاش عربي طويلة. وكان العراق أحد الدول المتأثرة بذلك الحراك ومدياته ومطالبه وتفاعلاته وتداعياته.

٣ المصدر نفسه

٤ جيرمي بوين: انتفاضات الربيع العربي في ٢٠١١ لم تُضمد نيرانها، رغم القتل والقمع BBC، ديسمبر ٥ / كانون الأول ٢٠١٩، <https://www.bbc.com/ara-bic/middleeast-50671463>

٥ فريد بلحاج: الذكرى العاشرة للربيع العربي: لا سبيل لإهدار عقْد أحر من الزمن!، البنك الدولي، ٢٠٢١/١٠/٤٠، <https://bit.ly/3bFwydJ>

ظل عدم تكافؤ الفرص، واستشرى الفساد، ووفقاً لإحصاءات «Freedom House»، تراجعت حرية الصحافة في ١٨ بلداً من بلدان الشرق الأوسط الـ ٢١ بين عامي ٢٠١٢ و ٢٠١٧. هذا النكوص الإقليمي كان قد التقطه مؤشر الديمقراطية لوحة الاستخبارات الاقتصادية والذي يُظهر بأن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لا يزالان يُشكّلان معاً المنطقة ذات الأداء الأدنى عالمياً في المعايير العالمية للديمقراطية كافة، كالحرّيات المدنية، والعملية الانتخابية والتعددية، وعمل الحكومة، والثقافة السياسية، والمشاركة السياسية. رافق ذلك تآكلاً في مكتسبات التنمية، فعام ٢٠١٨، وجد تقرير بأن خمس سكان الدول العربية تقريباً، أي ٦٥ مليون إنسان، يعيشون في فقر مدقع، وهو تصنيف يضعه البنك العالمي لأولئك الذي يتقاضون أقل من ١.٩ دولار أميركي يومياً. في حين يعيش ثلث سكان هذه الدول في حالة «فقر» أو «عوز»^٦.

لكنّ أمراً جوهرياً تبدّل، فمع أنّ احتجاجات (الربيع العربي) لم تؤدّ إلى الإصلاحات التي كان يأملها الجميع، فإنها تمكّنت من رعاية ثقافة من النشاط السياسي والمعارضة في أوساط العرب ظلّت قائمة حتى اليوم، ولا سيما في أوساط الشباب، لم يعد يمكن للحكومات أن تركز إلى استسلام مواطنيها بعد الآن. فقد كانت الحكومات العربية تستند تقليدياً إلى ما يسميه علماء السياسة «مقايضة سلطوية»، توفر الدولة

٦ مها يحيى: من غزو العراق للربيع العربي.. هل يسير العرب نحو خلاصهم الأخير؟، عن Foreign Affairs ترجمة فرح عصام، الجزيرة، ٢٠١٩/١٠/٣١، <https://bit.ly/37SibkT>

الدومينو والتأثير السياسي

والسياسات الحكومية. لكن الاحتجاجات الأوسع بدأت في تموز/يوليو ٢٠١٥، واستمرت طيلة سنوات في بغداد ومحافظات الوسط والجنوب، وإذا كانت تراكمات عقود طويلة من المعاناة المعيشية والاقتصادية وغياب حرية التعبير في تونس ومصر واليمن وسوريا وليبيا، قد أشعلت الموجة الأولى من حراك (الربيع العربي)، فإن ذات المعاناة المعيشية والاقتصادية عانى منها العراقيون لا سيما تراكمات العنف الطائفي بين عامي ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨، ثم سيطرة تنظيم «داعش» الإرهابي على أجزاء واسعة من غرب وشمال غربي البلاد في يونيو/حزيران ٢٠١٤، وحرب التحرير وما نجم عنها من خراب ودمار في معظم المحافظات الغربية وعدم فاعلية النظام السياسي في الاستجابة للمطالب المشروعة. لتأتي احتجاجات تموز/ يوليو ٢٠١٨ التي ظلت المطالب السياسية بعيدة عن اهتمامات المحتجين الذين ركزوا على الفساد والبطالة وسوء الخدمات وتراجع المعيشة، فالعراق يمتلك رابع أكبر

انتقل تأثير (الربيع العربي) من جناح الفراشة إلى تأثير الدومينو على الأنظمة السياسية في المنطقة العربية، ليكون العراق في وسط هذه الحلقات المتأثرة، وليشهد العديد من الآثار والتداعيات السياسية، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، التي ألقت بظلالها على الوضع العراقي الهش، وما يعيشه من تردي كبير في قطاع الخدمات والارتباك في المشهد السياسي، ليكون هذا الحراك دافعاً لقطاعات واسعة من الشباب والمنظمات وبعض التيارات السياسية للقيام بالاحتجاجات، في وقت كانت البلاد تغرق أكثر في صراعاتها السياسية الداخلية، والتدخلات الخارجية، ومشكلاتها الأمنية، وتجذر الفساد في مؤسساتها، وسوء الحوكمة.

انطلقت بداية الاحتجاجات عام ٢٠١١، لكنها اقتصرت على نطاق جغرافي معين، بمطالب محددة، ولحقتها احتجاجات حاشدة في غرب العراق بين عامي ٢٠١٢ و ٢٠١٣، حول مطالب محددة أيضاً، تتعلق بالتهميش والتوازن السياسي، والمعتقلين

١ رياح الربيع العربي تهب على العراق ما بين الطائفية والصراع السياسي.. المركز العربي للبحوث والدراسات،

الأحد ٢٩/ديسمبر/٢٠١٣، تاريخ الزيارة ١٨ شباط ٢٠٢١

<http://www.acrseg.org/2294/bcrawl>

٢٠٠٣، واختلال مؤسسات الدولة، وضعف الحكم والفساد المستشري، وتعاقد التدخل الإقليمي والدولي. لتصبح السياسات العراقية السائدة أكثر انقساماً على مدى السنوات الـ ١٨ الماضية، ولتجد خلافات وتطلعات سياسية متنافسة ومنقسمة دائمة داخل الكتل القائمة على الهوية ٢٠٠٣؛ مما أدى إلى مزيد من الفصائل والصراعات من أجل التوصل إلى توافق حول القضايا الرئيسية، ولتتم تقليص السياسة العراقية إلى القاسم المشترك الأدنى - حماية نظام المحاصصة القائم على المحسوبية الذي يحافظ على سلطة الأحزاب وامتيازاتها-. ولا توجد رؤية مشتركة بين النخب السياسية بشأن أفضل طريقة لحماية الوضع الراهن والاستجابة للمطالب.^٩

إن عدم قدرة الحكومات المتوالية، والنخب السياسية، في الاستجابة للمطالب المحددة في حينها، أدى إلى اتساع رقعة الاحتجاجات أفقياً، وتعمق مطالبها عمودياً، لا سيما في مطالبها بالتغيير الحكومي، ليصبح عامل الزمن الممتد ليس في مصلحة الطبقة الحاكمة؛ التي تجاهلت المطالب، وهمشت الآراء، وراكمت الغضب، وغضت الطرف عن الإخفاقات، فالتغاضي عن الاستجابة للمطالب آتياً، وتراكمها زمانياً، يؤدي إلى زيادة المظالم، ومن ثم تحدي أسس العملية السياسية القائمة.

^٩ رعد القادري: هل سيكون الكاظمي الحل الوسط لإصلاح النظام العراقي المعطل؟ مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠٢٠-٠٤-٢٧،

<https://bit.ly/2AKU6yQ>

احتياطي استراتيجي للنفط في العالم، بينما يعيش أكثر من ٢٢.٥ بالمئة من سكانه البالغ عددهم نحو ٤٠ مليون نسمة على أقل من ٦٠ دولار شهرياً وفق بيانات البنك الدولي، فيما تعاني أسرة واحدة من بين ست أسر من انعدام الأمن الغذائي. غير أن الاستبعاد للمطالب السياسية لم يستمر طويلاً، إذ تصاعدت مطالب المحتجين إلى تغيير الحكومة، وتعديل الدستور، والذهاب إلى انتخابات تشريعية مبكرة، والقيام بإصلاحات سياسية مهمة، ومطالب أخرى في أهم وأكبر احتجاجات شهدتها العراق في بداية تشرين الأول عام ٢٠١٩^٧. أبرزها كانت في ساحة التحرير في بغداد، بيد أن الفواعل المتعددة الرسمية وغير الرسمية وجهت لقمع الاحتجاجات فوق على أثرها العديد من الجرحى والقتلى وتم تصفية أبرز قادة الاحتجاجات بالاغتيال أو الاختطاف أو الاعتقال، إذ قتل أكثر من ٤٩٠ محتجاً بحسب بعثة الأمم المتحدة في العراق.^٨

إن تلك الاحتجاجات المتوالية كان نتاج سياسات الهوية الطائفية-العرقية التي حددت النظام السياسي لما بعد عام

^٧ إحسان الفقيه: أين تقف احتجاجات العراق من ثورات «الربيع العربي»؟ (مقال تحليلي) لم ترفض الشعوب العربية، ومنها الشعب العراقي، الديمقراطية كشكل من أشكال نظام الحكم وإنما هي ترفض الديمقراطية الشكلية، Anadolu Agency، إسطنبول، ٠٩.١٠.٢٠١٩، <https://bit.ly/2ZV7Y2T>

^٨ التظاهرات في العراق: حالات الاختطاف والتعذيب والإخفاء القسري في سياق التظاهرات المستمرة في العراق، تقرير خاص بحقوق الإنسان، التحديث الثالث، بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، بغداد، ٢٣ أيار ٢٠٢٠ ص ٢

لم يقتصر تأثير (الربيع العربي) على ذلك، بل تبعه عدة تأثيرات وتداعيات عرقية وطائفية، إذ ارتفع مستوى التعصب الإثني بمستوياته كافة، وانخفضت قيمة الهوية الوطنية مقابلها. لتعيد تعريف الذات والآخر وفق الهوية الفرعية لا الوطنية، مما وضع تلك الجماعات في مواجهة الدولة، ولا سيما مع وجود أزمات داخل بنية الدولة، ظهرت نتائجها مترافقة مع بعضها البعض، مما أعطى انطباعاً أنّ الثورات هي مسبب تلك الأزمات.^{١٠} وأفضل مثال على ذلك، ما شهدته العلاقات بين إقليم كردستان العراق وبين الحكومة الاتحادية من توتر حاد في أيلول عام ٢٠١٧، بعد إقدام الإقليم على خطوة أحادية الجانب لإجراء استفتاء حول مصير الإقليم، مما دفع بالحكومة العراقية إلى فرض عدد من الإجراءات العقابية على الإقليم.^{١١} فضلاً عن تصاعد النفوذ الإيراني والأمريكي في الشأن السياسي العراقي بشكل واضح وصريح ليكون مؤثراً في مراكز صنع القرار العراقية، ليصبح العراق أسير تلك التدخلات والموازن والصراعات الإقليمية والدولية.

١٠ عبد القادر أحمد نعناع: أثر ثورات الربيع العربي في النزاعات الانفصالية، مستقبل الشرق للدراسات والبحوث، ٢٩ يوليو ٢٠١٧، <https://bit.ly/3dtEb9n>

١١ استلهام الربيع العربي بين خطوط الصراعات المسلحة الجديدة قراءة موجزة في مؤشرات حقوق الإنسان في العالم العربي، سلسلة قضايا الإصلاح: (٣٩)، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، تونس، ٢٠١٩ ص ٣٥

التداعيات الأمنية وتأثير كرة الثلج المتدحرجة

التنظيم جزءاً من العراق في حزيران/يونيو ٢٠١٤، وأعلن إنشاء (خلافته الإسلامية) التي جعل مركزها الموصل، وفتح حرباً جلبت الدمار إلى العراق.

تبع ذلك، تصاعد أدوار الفواعل الإقليمية والدولية بالشأن الأمني العراقي الداخلي، سواء للقضاء على داعش الإرهابي كما في التحالف الدولي للقضاء على (داعش) من جهة، أو بتحول العراق إلى ساحة للصراع الإقليمي والدولي من جهة أخرى، لا سيما بين اللاعبين الرئيسيين، إيران والولايات المتحدة للنفوذ والسيطرة في العراق والمنطقة، مما انعكس على الأوضاع العراقية الداخلية وعلى جميع المستويات السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية. الذي قاد بدوره إلى بروز العديد من الفواعل ما دون الدولة بالشأن الأمني العراقي وتصاعد نفوذها للسيطرة على الموارد والسلطة؛ نتيجة ضعف الحوكمة التي قوضت شرعية الدولة.^{١٣}

وعلى الرغم من تحقيق الانتصار على داعش منذ عام ٢٠١٧، والتراجع الكبير في حدة

أكثر تداعيات (الربيع العربي) على العراق، كانت آثاره الأمنية، كأنما كرة ثلج بدأت صغيرة عام ٢٠١١ لكن تدحرجها جمع الثلج حولها لتزداد ثقلاً وحجماً، ولتتضمم الأحداث وتتسارع في حزيران/يونيو عام ٢٠١٤، باحتلال تنظيم (داعش) للموصل والتداعيات الأمنية التي لحقت.

فالوضع المرتبك أمنياً أدى إلى التأثير في مواقف العراق من التطورات الجارية في دول (الربيع العربي) عامة وسوريا بشكل خاص في ظل ارتباط الجماعات الإرهابية مع بعضها البعض، والقرب الجغرافي، وتماثل الأوضاع، الذي أدى إلى حدوث اختلالات أمنية فعلية، الأمر الذي لم يستطع العراق التخلص من وقعه هو انتقال الجماعات الإرهابية المسلحة بين العراق وسوريا وإدماج بعضها تحت تسمية واحدة كتنظيم «دولة العراق الإسلامية» الذي أعلن تحوله إلى «تنظيم دولة الاسلام في العراق والشام» (داعش)، لتوفّر الحرب الأهلية في سوريا مسرّحاً لبناء القوة فيه، وملاً للتنظيمات الجهادية الإرهابية.^{١٤} ومن هناك اجتاح

^{١٤} مثنى فائق العبيدي وإيمان موسى النمسي؛ عامل العراق والجزائر مع الربيع العربي: دراسة مقارنة في الموقف والانعكاسات، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، بيروت، مارس ٢٠١٥ / ٢٥،

<http://www.beirutme.com/?p=10123>

^{١٣} مجموعة البنك الدولي: العراق الدراسة التشخيصية المنهجية عن العراق، التقرير رقم ١١٢٣٣٣-١٥، ٣ شباط/فبراير ٢٠١٧ ص

في ضوء ذلك، فإن الأسئلة ما زالت تتكرر، بعد مرور ثمانية عشر سنة من المواجهة والعمل المضني، خرج العراق بمؤسسة أمنية ودفاعية واستخباراتية يربو عدد رجالها على المليون ومائة ألف شخص، وتتعدد مؤسساتها وهيكلها بين حديث التأسيس ومعاد التشكيل. فما هي القدرات وكفاءة الاستفاد والتوظيف لهذا العدد الغفير من المنتسبين؟ وما مستوى الإنجاز الأمني والدفاعي في ظل التهديدات المتواصلة سواء من الخلايا الإرهابية التي تعاود النشاط، أو سطوة الفواعل ما دون الدولة، أو من أعضاء وأفراد الجريمة المنظمة، أو من مظاهر العنف السياسي بما فيها اغتالات مجهولة وعمليات خطف وتهديد، أو حالات الانفلات الأمني المتمثل بتحدي القانون واللجوء إلى السلاح العشائري، ومقاومة سلطات الدولة؟ إن كل هذه المظاهر تدل على عدم كفاية المساعي التي بذلت؛ والأموال التي أنفقت لبناء مؤسسة عسكرية وأمنية مهابة وحازمة وناجحة، قادرة على القيام بالمهمة الأمنية بدون تدخلات خارجية ومساعدات أجنبية مشروطة. لا شك أن هذا الانقسام يعيد إلى الأذهان بقاء العراق ضمن تصنيف الدولة الهشة، وتوفير عدم قدرتها على حماية مواطنيها، وتوفير الأمن اللازم لاستمرار الحراك الاجتماعي والاقتصادي والمشاركة السياسية وتحقيق الرضا العام. بما يمنع القول بنجاح العراق أو على الأقل في طريقه للنجاح لبناء مؤسسة أمنية فعّالة.^{١٥}

التهديدات الإرهابية، إلا أن العراق لم يستطع بناء أمن مستدام، يعتمد مؤسسات مهنية رصينة وقدرات فعالة، وموارد بشرية عالية التدريب والتخصص. لأن نوع ودرجة التهديد لا زال عالياً، ففي آخر تقرير لمؤشر الإرهاب العالمي لسنة ٢٠٢٠، تم تصنيف العراق ك ثاني أكثر دولة تضرراً من الإرهاب، حيث تشير معطيات التقرير أن أغلب الهجمات الإرهابية استهدفت بالدرجة الأولى المدنيين، الممتلكات الخاصة، المؤسسات الأمنية والمؤسسات الاقتصادية. كذلك في آخر تقرير لمؤشر السلام العالمي لسنة ٢٠٢٠، تم تصنيف العراق في المرتبة ١٦١ من أصل ١٦٣ متراجعاً بذلك بمرتبة واحدة عن سنة ٢٠١٩. تدهور الوضع الأمني كلف الدولة العراقية خسائر اقتصادية كبيرة، وهو ما يؤكد تقرير مؤشر السلام العالمي، حيث تسبب العنف في خسارة العراق له ٢٦% من ناتجه المحلي الإجمالي، بتكلفة مالية قدرها ١٧٧ مليون ونصف المليون دولار. إضافة لذلك يشير التقرير أن ميزانية التسليح في العراق تمثله ٩.١% من الناتج المحلي الإجمالي؛ وهو ما يعكس التكلفة الباهظة التي يدفعها العراق جزاء حالة الأمن التي استنزفت ولا زالت تستنزف ميزانية الدولة. من جهة أخرى، حلّ العراق في المرتبة ٥٧ بـ ٨١ نقطة في تقرير معهد غالوب حول النظام والقانون في العالم لسنة ٢٠٢٠. هذا الأخير الذي يهدف إلى قياس مدى قدرة مؤسسات الدولة البيروقراطية والأمنية في توفير الأمن من خلال دراسة أجريت في ١٤٤ دولة.^{١٤}

^{١٥} إبراهيم العبادي: الأجهزة الأمنية والعسكرية العراقية: تحديات ومصاعب، تقدير موقف، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، أبريل ٢٠٢٠، <https://bit.ly/2Y2RnJ9>

^{١٤} قاسمي عبد السميع: العراق ٢٠٢٠ تقرير عن حالة العراق في التقارير الدولية، IFPMC-LONDON، December 2020، <https://bit.ly/3eO0BOI>

التفاعل التسلسلي والآثار الاجتماعية

مساحة التشظي واضطراب النسيج المجتمعي، ما أدى إلى استنزاف مقومات التنمية واستدامتها. علاوة على ارتفاع مستويات الفقر متعدد الأبعاد، الناجم عن الأزمات المتلاحقة والنزاعات المسلحة وما رافقها من إرهاب وعنف ونزوح سكاني.^{١٨}

على مستوى الفقر كشفت وزارة التخطيط أن نسبة الفقر في البلاد وصلت في عام ٢٠١٨ إلى ٢٠ في المئة، ورغم أن نسبة الفقر تراجعت من ٢٢ في المئة عام ٢٠١٤، إلا أن الأرقام تظهر تلكؤ الحكومات العراقية المتعاقبة في الحد من هذه المشكلة، حيث لم تنخفض النسبة على مستوى البلاد إلا بشكل طفيف جداً لا يتجاوز ٢ في المئة خلال أربع سنوات، فيما لم تكن نسبتها تتجاوز الـ ١٥ في المئة في ٢٠١٣.^{١٩} غير أن تلك النسب لم تستمر طويلاً، حين أعلن وزير التخطيط عن ارتفاع نسبة الفقر في العراق لعام ٢٠٢٠ إلى ٣١.٧٪، ليبلغ عدد

إن الاحتجاجات المتتالية التي شهدتها المنطقة عموماً، والعراق خصوصاً، كانت لها آثارها الاجتماعية الكبيرة نتيجة تعدد وتنوع الأزمات المركبة، مما ولّد تفاعلات متسلسلة ومتراصة من الوهن والهشاشة لتقوض سبل العيش المستدام وانعكست على جودة نوعية الحياة واستدامتها.^{١٦} وتعكس مؤشرات التنمية تلك الهشاشة، إذ أظهر دليل التنمية البشرية العالمي لعام ٢٠٢٠، وضع العراق الذي يقع ضمن فئة البلدان متوسطة التنمية البشرية في المرتبة ١٢٣ من أصل ١٨٩ دولة، بعد أن احتل المرتبة ١٢٠ في نفس التقرير لسنة ٢٠١٩، حيث انخفض مؤشر التنمية البشرية من ٠.٦٨٩ سنة ٢٠١٩ إلى ٠.٦٧٤ سنة ٢٠٢٠.^{١٧} فضلاً عن هيمنة الولاءات الفرعية (ما قبل الدولية)، وضعف سلطة القانون والنفاذ للعدالة، وولدت عجزاً بنيوياً وتوالد متواصل للمشكلات وافتقاراً للإرادة المجتمعية ولأدوات تمكينه، ووسعت

^{١٦} خطة التنمية الوطنية ٢٠١٨-٢٠٢٢، وزارة التخطيط، جمهورية العراق، حزيران ٢٠١٨ ص ١٦

^{١٧} ينظر: تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٩، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، ٢٠١٩، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٢٠، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك،

^{١٨} خطة التنمية الوطنية ٢٠١٨-٢٠٢٢، مصدر سبق ذكره ص ١٩

^{١٩} وزارة التخطيط تعلن عن تراجع معدلات الفقر في العراق، ٢٠٢٠-٠٢-١٦،

من ظروف التهجير القسري وضعف السياسات الحمائية. فقد نزح أكثر من ٤ ملايين عراقي بسبب الصراعات المختلفة في البلاد لا سيما بعد أحداث (داعش)، ويمثل هذا العدد ١١٪ من السكان.^{٢٢} لتتزعزع بعدها مقومات الأمن الإنساني والاستقرار المجتمعي وترتفع معدلات فقر النازحين (نحو ٤٢ %) من إجمالي سكان العراق.^{٢٣} كما نتج عن النزوح الداخلي العديد من الآثار الاجتماعية، إذ زادت مساحة الفئات الهشة من السكان بحيث زادت نسبة الهشاشة عن ٥٠ % عام ٢٠١٦، ونتيجة البطالة والفقر والتسول والعيش في معسكرات غير مؤهلة للسكن، واجه النازحون حالة من العنف والرفض المجتمعي من قبل بعض أبناء المناطق الجديدة، فضلاً عن ذلك تفيد التقارير أنّ النازحين يتعرضون للكثير من انتهاكات حقوق الإنسان، مثل استغلال النساء وعمالة الاطفال وعدم توفر حقوق كافية للتعليم وإصابة الكثير منهم بالأمراض الجسمية المعدية والاضطرابات النفسية، إذ تشير تقارير منظمة الصحة العالمية أنّ أكثر الاضطرابات النفسية التي يعانيها النازحون هي: ارتفاع مظاهر الاكتئاب، واضطراب ما بعد الضغوط الصدمية، وارتفاع معدلات الانتحار في مخيمات النازحين، وإدمان المواد ذات التأثير

الفقراء بموجب هذا الارتفاع (١١ مليوناً و(٤٠٠) ألف فرد.^{٢٤} وكان سبب هذا الارتفاع الكبير انتشار فيروس كورونا المستجد (كوفيد١٩-) وانخفاض أسعار النفط وتوقف أغلب المشاريع في جميع القطاعات الاقتصادية، مما أدى إلى خسارة شريحة واسعة من العاملين بالأجر اليومي مصادر دخلها.

إضافة إلى فجوة النوع الاجتماعي التي قوضت أسس البناء التنموي بسبب القوالب النمطية التقليدية المحددة لأدوار المرأة والمتأثرة بهيمنة الثقافة الذكورية المتجذرة في عمق البناء الاجتماعي. فضلاً عن استمرار عجز الدولة والمجتمع عن استيعاب الشباب وتأطيرهم بالحياة العامة، وتوفير فرص العمل اللائق لهم، مما يهدد ركائز الاستقرار والأمن الاجتماعي، ويدفع البعض منهم إلى الهجرة خارج الحدود أو الاحتجاج. إذ بلغ معدل البطالة للأفراد بعمر ١٥ سنة فأكثر ١٠.٨ % (١١.٥ % في الحضر مقابل ٨.٨ % في الريف). بينما بلغت نسبة العمالة الناقصة (أقل من ٣٥ ساعة عمل أسبوعياً) ٢٨.٢ %^{٢٥}

كما أنتجت ظروف النزوح هشاشة مركبة (فئات هشة+ نزوح وتهجير) رافقت ارتفاع مستويات الإرهاب والعنف وما نجم عنها

٢٠ وفقاً لدراسة أجرتها الوزارة بالتعاون مع جهات دولية.. وزير التخطيط: جائحة كورونا تسببت بارتفاع نسبة الفقر في العراق إلى (٣١.٧%)، ٢٠٢٠-٧-٠٨، https://mop.gov.iq/activities_minister/view/details?id=1216

٢١ خطة التنمية الوطنية ٢٠١٨-٢٠٢٢، مصدر سبق ذكره

٢٢ مجموعة البنك الدولي: مصدر سبق ذكره ص ١٥

٢٣ خطة التنمية الوطنية ٢٠١٨-٢٠٢٢، مصدر سبق ذكره ص ١٥

٢٤ المصدر نفسه ص ١٩

الدولية المستجدة في ميادين المعرفة.^{٢٧} إذ ارتفعت نسبة السكان النازحين الذين تركوا التعليم بسبب النزوح ٨,٢% من إجمالي السكان النازحين.^{٢٨}

الواقع الديموغرافي في العراق شهد نمواً سكانياً بلغ ٤٠ مليون نسمة، بالإضافة إلى هيمنة فئة الشباب،^{٢٩} فأكثر من ٦٠ في المئة من العراقيين تقل أعمارهم عن ٢٤ سنة، ويصبح حوالي ٧٠٠ ألف سنوياً منهم مستعدين لدخول سوق العمل. كما أن العراق مجتمعٌ يزداد عدد سكانه بواقع مليون نسمة كل عام، الأمر الذي يزيد الطلب على الخدمات والرعاية الاجتماعية والطبية والبحث عن فرص العمل.^{٣٠} فضلاً عن المتغيرات المجتمعية في عصر تكنولوجيا المعلومات والانفتاح على العالم؛ يجعل من الصعوبة احتواء ثورات التوقعات والمطالب المجتمعية، خاصة الاقتصادية والاجتماعية، في إطار مؤسسات حكم غير فاعلة، وغير قادرة على استيعاب قطاعات المجتمع بشكل سلمي، لا سيما فئة الشباب التي تمثل القطاع الأكبر في البلد.^{٣١}

النفسي^{٢٥} فضلاً عن تداعيات تمزق النسيج المجتمعي، إذ شهدت المحافظات بعد الحد من خطر (داعش) العديد من النزاعات سواء كانت طائفية كما في ديالى، أو قبلية كما في صلاح الدين، أو عرقية كما في نينوى. ليتصاعد التوتر بين القبائل، والطوائف والجماعات العرقية. وشجعت شكوك الانتماء إلى (داعش) الصراعات المحلية الجديدة، وفي العديد من المناطق، قيام الجماعات المسلحة أو قيام الباقين باحتلال ممتلكات النازحين.^{٣٢}

إن خضوع مناطق واسعة من العراق لسيطرة (داعش) الإرهابي ولمدة تقارب ثلاث سنوات، وتوسع حاضنات التطرف والإرهاب والعنف الناجمة عن ظروف الاحتلال وعمليات التنشئة الاجتماعية والبرامج الدراسية التي خضع لها أطفال وشباب تلك المناطق، ترك آثاراً نفسية واجتماعية عميقة تقوّض وحدة وتماسك النسيج الاجتماعي. كما لم تشهد مؤسسات التعليم بمراحلها كافة تقدماً نوعياً، وانتشاراً جغرافياً، وتغطية لبنائه التحتية، مع استمرار ارتفاع مستويات الأمية والتسرب وفجوة النوع، مما يهدد منظومة البناء التربوي ويعيق مواكبتها للمتغيرات

٢٧ خطة التنمية الوطنية ٢٠١٨-٢٠٢٢، مصدر سبق ذكره ص ١٩

٢٨ فهد مزبان خزر الخزار، مصدر سبق ذكره ص ٧٣-٧٦

٢٩ وزارة التخطيط، تعلن عن حالة سكان العراق لسنة ٢٠٢٠، ٢٠٢١-١-١٢،

<https://mop.gov.iq/news/view/details?id=508>

٣٠ حارث حسن: العراق غارقاً راهناً في لُجج مظاهرات عنيفة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ٠٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩،

<https://carnegie-mec.org/diwan/80002>

٣١ استلهام الربيع العربي، مصدر سبق ذكره ص ١٠

٢٥ فهد مزبان خزر الخزار: أزمة النزوح الداخلي في العراق ما بعد احتلال الموصل حزيران ٢٠١٤: الأسباب والحلول المستدامة، عدد خاص بالمؤتمرات، مجلة مداد الاداب، البصرة، ٢٠١٨-٢٠١٩ ص ٧٧

٢٦ لهيب هيغل: أزمة النزوح في العراق: الأمن والحماية، مركز سيسفاير لحقوق المدنيين والمجموعة الدولية لحقوق الأقليات، انكلترا، مارس ٢٠١٦ ص ٢٤

الخاتمة

يعكس ما تقدم مدى هشاشة الوضع السياسي، الاجتماعي والأمني في العراق. ولكنها في الوقت نفسه تُظهر عن كثب أغلب النقص الواجب تداركها، وما هي القطاعات ذات الأولوية والتي تستوجب إصلاحات عميقة. فالاحتجاجات هي علاقة بين مطالب مجتمعية، وتوقعات الاستجابة لها، ورهان العراقيين هو مباشرة إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية تتماشى مع مساعي تنويع الاقتصاد وتشجيع الاستثمار لاستيعاب البطالة، بالإضافة إلى ضرورة العمل على استتباب الأمن على نحو يسمح بعودة الحركة الاقتصادية والتماسك المجتمعي والديمقراطية السياسية.

إن التأثير الأعمق لحراك «الربيع العربي» في العراق هو تحوّل الشعب بذاته إلى عنصر أساس متفاعل مع السياسة في مجتمعه، وأحد المعدلات التي لا يستطيع السياسة غض الطرف عنها، أو تجاهلها، بمعنى أنّ علاقته مع مسار السياسة تحرّر من حصريّة تمركزه في أيدي نُخب سياسيّة أم دينية، إقليمية أم دولية.

إن الحاجة إلى إعادة النظر في الاختلالات الهيكلية يتطلب إصلاحات مؤلمة، ومدة تكيف طويلة؛ وبالتالي ستحتاج إلى موافقة عامة السكان. وبالنظر إلى مدى حركة الاحتجاج المناهضة للسياسة الحالية، فمن غير المرجح حدوث ذلك دون إصلاح سياسي كبير. فالاحتجاجات في العراق ليست مجرد حركة لحظية، بل هي تمثّل نقطة تحوّل تاريخية بالنسبة إلى جيل ملّ من قصور وعدم كفاءة الحكومة، والطائفية

إن الحاجة إلى إعادة النظر في الاختلالات الهيكلية يتطلب إصلاحات مؤلمة، ومدة تكيف طويلة؛ وبالتالي ستحتاج إلى موافقة عامة السكان. وبالنظر إلى مدى حركة الاحتجاج المناهضة للسياسة الحالية، فمن غير المرجح حدوث ذلك دون إصلاح سياسي كبير. فالاحتجاجات في العراق ليست مجرد حركة لحظية، بل هي تمثّل نقطة تحوّل تاريخية بالنسبة إلى جيل ملّ من قصور وعدم كفاءة الحكومة، والطائفية

عن مؤسسة فريدريش إيبيرت - الأردن والعراق

تعتبر مؤسسة فريدريش إيبيرت منظمة غير ربحية ملتزمة بقيم الديمقراطية الاجتماعية، كما تعتبر أقدم مؤسسة سياسية ألمانية، حيث تأسست عام ١٩٢٥ كإرث سياسي لأول رئيس ألماني منتخب ديمقراطياً (فريدريش إيبيرت).

تهدف مؤسسة فريدريش إيبيرت% الأردن والعراق إلى تعزيز وتشجيع الديمقراطية والمشاركة السياسية، ودعم التقدم نحو العدالة الاجتماعية ومساواة النوع الاجتماعي. فضلاً عن المساهمة في الاستدامة البيئية والسلام والأمن في المنطقة.

إضافة إلى ذلك يدعم مكتب فريدريش إيبيرت- الأردن والعراق بناء وتقوية المجتمع المدني والمؤسسات العامة في الأردن والعراق. كما تعمل مؤسسة فريدريش إيبيرت- الأردن والعراق من خلال مشاركة واسعة النطاق مع مؤسسات المجتمع المدني وأطراف سياسية مختلفة إلى إنشاء منابر للحوار الديمقراطي، وعقد المؤتمرات وورش العمل، وإصدار أوراق سياسية متعلقة بالأسئلة السياسية الحالية.

د. عادل عبد الحمزة ثجيل

متخصص في العلوم السياسية يحاضر في جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية، شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية سواء في مجال كلية العلوم السياسية أو خارجها، وله العديد من الأبحاث المنشورة ومن أبرزها: «أثر التوظيف الاستراتيجي للموارد لتحقيق أهداف الدولة»، و«نحو تصور استراتيجي للسياسة الخارجية العراقية»، و«الخيارات الاستراتيجية في العراق - العلاقات التركية»، و«أثر الناتو في مستقبل العلاقات الأمريكية الأوروبية»، و«أثر المبادئ الجيوسياسية في التصور الاستراتيجي الأمريكي بعد الحرب الباردة»، و«الجغرافيا السياسية وفكرة المجال الحيوي».

عشر سنوات بعد الربيع العربي الانعكاسات السياسية والأمنية في العراق



الاحتجاجات هي علاقة بين مطالب مجتمعية وتوقعات الاستجابة لها، ورهان العراقيين هو مباشرة إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية تتماشى مع مساعي تنويع الاقتصاد وتشجيع الاستثمار لاستيعاب البطالة، بالإضافة إلى ضرورة العمل على استتباب الأمن على نحو يسمح بعودة الحركة الاقتصادية والتماسك المجتمعي والديمقراطية السياسية.



الاحتجاجات في العراق ليست مجرد حركة لحظية، بل هي نقطة تحوّل تاريخية بالنسبة إلى جيل ملّ من قصور وعدم كفاءة الحكومة، والطائفية المُسيّسة، والفساد، والمجتمع المفتقد إلى المساواة. وطالما أنّ هذه الأعراض مستمرة في المجتمع العراقي، فستواصل الاحتجاجات ولن تتوقف.



التأثير الأعمق لحراك الربيع العربي في العراق هو تحوّل الشعب بذاته إلى عنصر أساس متفاعل مع السياسة في مجتمعه، وأحد المعدلات التي لا يستطيع السياسة غض الطرف عنها، أو تجاهلها، بمعنى أنّ علاقته مع مسار السياسة تحرّر من حصرية تمركزه في أيدي نُخب سياسيّة أم دينية، إقليمية أم دولية.

www.fes-jordan.org